

91

قَصص الأنبياء

محمد

(صلى الله عليه وسلم) (35)

نقض الصلح

يقال: يا أيها محمد بن عبد الله
رسول الله محمد بن عبد الله
أشرفنا يا أيها محمد بن عبد الله





كَانَ مِنْ شُرُوطِ صَلَاحِ (الْحُدُودِ) أَنْ مَنْ أَحَبَّ مِنْ
الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ أَنْ يَدْخُلَ فِي حِلْفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
دَخَلَ فِيهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي حِلْفِ (قُرَيْشٍ)
دَخَلَ فِيهِ ، فَدَخَلَتْ (خُزَاعَةُ) فِي حِلْفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
وَدَخَلَتْ (بَنُو بَكْرٍ) فِي حِلْفِ (قُرَيْشٍ) ..

ولكن (قريشا) نقضت الصلح بعد أقل من
ثمانية عشر شهرا ، حين اعتدت قبيلة (بنى بكر) على
قبيلة (خزاعة) ليلا وأعانتها (قريش) بالسلاح والرجال .
فلما حدث ذلك خرج (عمرو بن سالم
الخزاعي) مسافرا من (مكة) حتى وصل إلى رسول
الله ﷺ بالمدينة مستنجدا به أن ينصر (خزاعة)
كما نصرت (قريش) (بنى بكر) ، وقال له أبياتا
من الشعر مطلعها :

يا رب إني ناشد محمدا

حلف أبينا وأبيه الأتقدا

فقال له رسول الله ﷺ :

« نصرت يا عمرو بن سالم » ..

وأمر رسول الله ﷺ بإعداد العدة وتجهيز جيش
لغزو (قريش) بعد أن تأكد من نقضها العهد الذي
كان بينه وبينها ..

ولما علمت (قريش) أن الخبر قد وصل

لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِاعْتِدَائِهِمْ عَلَى حُلَفَائِهِ مِنْ
(خُزَاعَةَ) أَرْسَلُوا زَعِيمَهُمْ (أَبَا سُفْيَانَ) إِلَى
الْمَدِينَةِ ، لِيُقَابِلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، لِيَمْدُ فِي الصَّلَاحِ
بَيْنَ (قُرَيْشٍ) وَالْمُسْلِمِينَ ..

وَلَمَّا وَصَلَ (أَبُو سُفْيَانَ) إِلَى الْمَدِينَةِ دَخَلَ عَلَى
ابْنَتِهِ (أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ) زَوْجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
وَهُمْ بَانَ يَجْلِسُ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَطَوَّعَتْهُ
وَأَبْعَدَتْهُ عَنْهُ ، فَتَعَجَّبَ (أَبُو سُفْيَانَ) ، قَائِلًا لِابْنَتِهِ :
- يَا بَنِيَّةُ ، هَلْ أَبْعَدْتَ عَنِّي هَذَا الْفِرَاشَ ، أَمْ أَرَدْتَ
إِبْعَادِي عَنْهُ ۱۹

فَقَالَتْ (أُمُّ حَبِيبَةَ) ﷺ :
- هَذَا فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَنْتِ رَجُلٌ مُشْرِكٌ
نَجِسٌ ، فَلَمْ أَحِبَّ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ..
فَقَالَ (أَبُو سُفْيَانَ) :
- وَاللَّهِ ، لَقَدْ أَصَابَكَ يَا بَنِيَّةُ بَعْدِي شَرٌّ ..
وَخَرَجَ (أَبُو سُفْيَانَ) فَقَابِلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ،

فَكَلَّمَهُ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ .. ثُمَّ ذَهَبَ لـ (أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ)
وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَكَلِّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ
(أَبُو بَكْرٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

ـ مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ..
ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى (عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ) فَكَلَّمَهُ ، فَقَالَ
(عُمَرُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

ـ أَنَا أَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ وَاللَّهِ لَوْ لَمْ أَجِدْ
إِلَّا الذَّرَّ لَجَاهَدْتُكُمْ بِهِ ..



وتوجه (أبو سفيان) إلى بيت (علي بن أبي طالب)

وزوجته (فاطمة) بنت رسول الله ﷺ ، فقال :

- يا (علي) إنك أقرب القوم بي رحماً ، وإنني قد

جئت في حاجة ولا أريد أن أرجع خائباً ، فاشفع لي

إلى رسول الله ﷺ ..

فقال (علي) :

- ويحك يا (أبا سفيان) لقد عزم رسول الله ﷺ

على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه أبداً ..

وأمر رسول الله ﷺ الناس بأن يتجهزوا للسفر ،

ولم يخبرهم بالجهة التي سيتجهون إليها ،

حتى لا تعلم (قريش) أنه قادم لغزوهم ، بعد أن

نقضوا الصلح الذي كان بينه وبينهم .. ودعا رسول

الله ﷺ ربه ، قائلاً :

- « اللَّهُمَّ خذِ الْعَيْنَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ ، حَتَّى

نَبِّغَهَا فِي بِلَادِهَا » ..

ولما تجهز جيش رسول الله ﷺ للسفر

أَخْبَرَهُمْ ﷺ أَنَّهُمْ ذَاهِبُونَ لِعِزْوِ (قُرَيْشٍ) فِي
(مَكَّةَ) وَأَوْصَاهُمْ بِأَنْ يَبْقَى الْأَمْرُ سِرًّا ، حَتَّى
يُفَاجِئُوا (قُرَيْشًا) قَبْلَ أَنْ تَسْتَعِدَّ لِحَرْبِهِمْ ..

وَكَتَبَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ ، وَهُوَ (حَاطِبُ بْنُ أَبِي
بَلْتَعَةَ) خُطَابًا إِلَى (قُرَيْشٍ) يُخْبِرُهُمْ فِيهِ بِقُدُومِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ لِعِزْوِهِمْ فِي جَيْشِ جِرَارٍ ، وَأَعْطَى الرِّسَالَةَ
لَاِمْرَأَةٍ ، وَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَسْرِعَ بِتَوْصِيلِهَا إِلَى
(قُرَيْشٍ) فَخَبَّاتِ الْمَرْأَةُ الرِّسَالَةَ فِي شَعْرِهَا وَجَدَلَتْ
عَلَيْهَا ضَفَائِرَهَا ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهَا ..

وَنَزَلَ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا
صَنَعَ (حَاطِبُ) وَبِالرِّسَالَةِ الَّتِي أَرْسَلَهَا لَـ (قُرَيْشٍ)
مَعَ تِلْكَ الْمَرْأَةِ ..

فَاحْضَرَ النَّبِيُّ ﷺ (عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ) وَ (الزُّبَيْرُ
ابْنَ الْعَوَّامِ) ، وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَلْحَقَا بِالْمَرْأَةِ قَبْلَ أَنْ
تَصِلَ بِالرِّسَالَةِ إِلَى (مَكَّةَ) ..

لَحَقَ (عَلِيٌّ) وَ (الزُّبَيْرُ) بِالْمَرْأَةِ فِي الطَّرِيقِ ،

فَاسْتَوْقَفَاهَا وَفَتَّشَ رَحْلَهَا ، فَلَمْ يَعْثُرَا عَلَى
الرُّسَالَةِ ، وَأَنْكَرَتِ الْمَرْأَةُ أَنْ يَكُونَ مَعَهَا رِسَالَةٌ مِنْ
أَحَدٍ ، فَقَالَ (عَلِيٌّ) ﷺ :

- إِنِّي أَحْلَفُ بِاللَّهِ مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ..
أَخْرِجِي الرُّسَالَةَ وَالْأَمْرُ قُتْلُكَ بِهَذَا السِّيفِ ..
فَخَافَتِ الْمَرْأَةُ وَأَخْرَجَتِ الرُّسَالَةَ مِنْ بَيْنِ خُصَلَاتِ
شَعْرِهَا ..

فَلَمَّا عَادَ (عَلِيٌّ) وَ (الزُّبَيْرُ) بِالرُّسَالَةِ ، أَحْضَرَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ) ، وَقَالَ لَهُ :
- « يَا حَاطِبُ ، مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ ! » ..
فَقَالَ (حَاطِبُ) :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَمُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ،
مَا غَيَّرْتُ وَلَا بَدَّلْتُ ، وَلَكِنِّي رَجُلٌ لَيْسَ لِي فِي الْقَوْمِ
أَصْلٌ وَلَا عَشِيرَةٌ ، وَلِي فِي مَكَّةَ أَهْلٌ وَوَلَدٌ ، وَقَدْ
فَعَلْتُ ذَلِكَ حَتَّى لَا تُؤْذِيَ قُرَيْشٌ وَلَدِي وَأَهْلِي ..

فَقَالَ (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

« يَا رَسُولَ اللَّهِ ، دَعْنِي أَضْرِبُ عَنْقَ ذَلِكَ الْمُنَافِقِ ..

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« وَمَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ ، لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَصْحَابِ

بَدْرٍ ، يَوْمَ بَدْرٍ ، فَقَالَ : اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » ..

وَعَفَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ (حَاطِبِ) ..



وفي اليوم العاشر من رمضان في السنة
الثامنة للهجرة ، تحرك جيش رسول الله ﷺ
قاصداً (مكة) ..

وكان تعداد جيش المسلمين عشرة آلاف مقاتل ،
وهو جيش جرار لم تشهد له الجزيرة العربية مثيلاً
من قبل ، ولم يتخلف عن هذا الجيش أحد من
المهاجرين أو الأنصار ، بالإضافة إلى الذين أسلموا
من القبائل العربية ..

وكان (العباس بن عبد المطلب) عم رسول
الله ﷺ قد خرج إلى المدينة مهاجراً بأهله ، وكان
قد أعلن إسلامه من قبل ، فلقى جيش المسلمين في
الطريق وانضم إليهم ..

وأخفى الله (تعالى) أخبار خروج رسوله ﷺ عن
(قريش) فلم يعرفوا ما هو فاعل بهم ..
ونزل رسول الله ﷺ بجيشه مكاناً قريباً من
(مكة) يسمى (مر الظهران) وعسكر فيه ،

انتظارا لدخول (مكة) صاحبا ، فقال (العباس

ابن عبد المطلب) رضي الله عنه

- لئن دخل رسول الله ﷺ (مكة) عوة قبل أن

يأتي إليه أهلها تائبين ويطلبوا معه الأمان لأنفسهم .

فسوف تهلك (فريش) عن آخرها .

وركب (العباس) رضي الله عنه بعة رسول الله ﷺ ، وسار

في اتجاه (مكة) ليلا يبحث عن أحد يكون عائدا

إلى (مكة) ليبلعه رسالة إلى (فريش) حتى يأتوا

ويطلبوا الأمان من رسول الله ﷺ ، قبل أن يقتحم

عليهم بلدهم في الصباح ..

وفي ذلك الوقت كان أهل (مكة) قد رأوا نيران

معسكر رسول الله ﷺ عن بعد ، فخرج زعيمهم

(أبو سفيان بن حرب) و (بديل بن ورقاء)

يستطلعان الخبر ، فسمعهما (العباس) وهما يتحدثان

في الظلام ، فعرف صوت (أبي سفيان) فناداه ،

وعرف (أبو سفيان) أنه (العباس) من صوته ،

فتوجه إليه (أبو سفيان) ، قائلا :

— مالك يا عباس ، فذاك أبى وأمى ؟ !

فقال له (العباس) .

— ويحك يا أبا سفيان ، هذا رسول الله ﷺ قد
حاءكم بما لا قبل لكم به ..

فقال (أبو سفيان) حائها

— وماذا تشير على ؟ !

فقال (العباس) .

— والله لئن ظهر بك رسول الله ﷺ ليصرن عنقك ،
أركب حلقي على هذه البعلة ، حتى أتى بك رسول
الله ﷺ ، فأطلب لك منه الأمان ..

وركب (أبو سفيان) حلف (العباس) على بعلة
رسول الله ﷺ ، وأطلق به حتى وصل إلى حيمة
رسول الله ﷺ ، وورل (العباس) عن البعلة ودخل
على رسول الله ﷺ ومعه (عمر) ، فقال (عمر) :
— يا رسول الله ، هذا أبو سفيان ، قد أمكن الله
منه ، فدعى أصرب عقه ..

فَقَالَ (الْعَبَّاسُ) :

— يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ أَجَرْتُ أَبَا سُفْيَانَ ..

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

— « اذْهَبْ بِهِ يَا عَبَّاسُ إِلَى رَحْلِكَ ، فَإِذَا

أَصْبَحْتَ فَأَتْنِي بِهِ » ..

وَذَهَبَ (الْعَبَّاسُ) بِـ (أَبِي سُفْيَانَ) إِلَى خِيَمَتِهِ ، فَبَاتَ

مَعَهُ لَيْلَتَهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،

فَقَالَ لَهُ :



— « وَيَحْك يَا أَبَا سُفْيَانَ ، أَلَمْ يَأْنْ لَكَ أَنْ

تَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ » ..

فَقَالَ (أَبُو سُفْيَانَ) :

— مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ

أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ غَيْرُهُ ، لَقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئًا بَعْدَ ..

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

— « وَيَحْك يَا أَبَا سُفْيَانَ ، أَلَمْ يَأْنْ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي

رَسُولُ اللَّهِ ؟ » ..

فَقَالَ (أَبُو سُفْيَانَ) :

— مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ ، أَمَا هَذِهِ فَإِنْ فِي

النَّفْسِ مِنْهَا حَتَّى الْآنَ شَيْئًا ..

فَقَالَ (الْعَبَّاسُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

— وَيَحْك .. أَسْلَمَ وَاشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ

مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ ..

فَقَالَ (أَبُو سُفْيَانَ) :

— أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ

اللَّهِ ..

فَقَالَ (الْعَبَّاسُ) :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ الْفَخْرَ ،
فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا ..

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- « نَعَمْ ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ
أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ
آمِنٌ » ..

وَلَمَّا هَمَّ (أَبُو سُفْيَانَ) بِالْإِنْصِرَافِ ، قَالَ لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- « يَا عَبَّاسُ ، احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي ، عِنْدَ خَطَمِ
الْجَبَلِ ، حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللَّهِ فَيَرَاهَا » ..
وَهُوَ مَكَانٌ يُؤَدِّي إِلَى (مَكَّةَ) وَيَضِيقُ عِنْدَهُ الطَّرِيقُ ،
فَتَتَزَاكَمُ النَّاسُ وَالْخَيْلُ ..

فَخَرَجَ (الْعَبَّاسُ) بِـ (أَبِي سُفْيَانَ) وَأَوْقَفَهُ حَيْثُ
أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَبَدَأَ جَيْشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
يَتَحَرَّكُ فِي اتِّجَاهِ (مَكَّةَ) وَأَخَذَتِ الْقَبَائِلُ تَمُرُّ
بـ (أَبِي سُفْيَانَ) وَكُلِّ قَبِيلَةٍ تَحْمِلُ رَايَتَهَا ،

وَأَخَذَ (أَبُو سُفْيَانَ) يُحْمَلُ فِي الْجَيْشِ
مَذْهُولًا ، وَيَسْأَلُ (الْعَبَّاسُ) عَنْ أَسْمَاءِ الْقَبَائِلِ
الْمُشَارِكَةِ فِي الْجَيْشِ وَ (الْعَبَّاسُ) يُجِيبُهُ عَنْ كُلِّ
قَبِيلَةٍ بِاسْمِهَا .. حَتَّى مَرَّ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي
كَتِيبَتِهِ الْخَضِرَاءِ وَحَوْلَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ،
لَا تَظْهَرُ مِنْهُمْ سِوَى عِيُونِهِمْ مِنْ كَثَرَةِ الدَّرُوعِ وَالسَّلَاحِ ،
فَقَالَ (أَبُو سُفْيَانَ) فِي تَعَجُّبٍ :

— سُبْحَانَ اللَّهِ يَا عَبَّاسُ ، مَنْ هَؤُلَاءِ ۱۴

فَقَالَ (الْعَبَّاسُ) :

— هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ..

فَقَالَ (أَبُو سُفْيَانَ) ، وَقَدْ زَادَتْ دَهْشَتُهُ :

— وَاللَّهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ ، لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ

الْيَوْمَ عَظِيمًا ..

فَقَالَ (الْعَبَّاسُ) :

— إِنَّهَا النُّبُوَّةُ يَا أَبَا سُفْيَانَ ..

(يَتَبَعُ)